مقال للأب متى المسكين

«لأَنَّكَ تَقُولُ:
إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ،
وَلَا حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ»[1]
(رؤ ٣: ١٧)

⊙⊙⊙

هذه تكملة عظة للأب متى المسكين ألقاها على الرهبان يوم ٢٥ أغسطس ١٩٧٥ وقد سبق أن نشرنا في العدد الماضي جزأها الأول، وقد وصل في آخره إلى طرح السؤال: "كيف نزيد حرارتنا الروحية؟"، والآن سيجيب على هذا السؤال الجذري، ويتبع ذلك بتقديم صلاة طويلة تساعد كل من يريد أن يستعيد حرارته الروحية.

السؤال هنا: كيف نزيد حرارتنا الروحية؟ كيف نزداد غيرةً ونشاطًا ونمتلئ أكثر من الروح القدس؟ أقول لكم: لا بد من الصلاة. لكن لا يكفي فقط الصلاة الطقسية؛ بل يلزم صلاة القلب، فالصلاة الحقيقية هي الداخلية، داخل المخدع. عليكم بها، لا تُهملوها ولا تُقصِّروا فيها. ويمكن أيضًا أن تجتمعوا معًا في صلاة جماعية: ثلاثة ثلاثة، أو خمسة خمسة، أو حتى اثنا عشر اثنا عشر، وتُقسِّموا الوقت على مدار الـ ٢٤ ساعة. كل جماعة تجتمع ساعتين أو ثلاثًا على مدى النهار والليل، وتكونون "جماعة الذين لا ينامون". أو يمكن أيضًا نقطع على أنفسنا صومًا إضافيًا. هذه أفكار أُقدِّمها لكم، لعلكم تُشفوا من داء هذا الجيل، ويعود الرب ويتحنن علينا وعلى شعبه.

الوقت مُقصَّر، فإن لم نكن على مستوى الحرارة الروحية، فسوف نُداس بالأرجل، ونصير كمية مُهملة في طريق ملكوت السموات. فعلينا أن نُغيِّر أنفسنا، لئلا يأخذنا المَخاض في غفلة ولا نكون مُستعدِّين. على كل واحد أن يتوب في مخدعه، يبكي بدموع، يقرع صدره، ويسأل الروح كيف يزداد غيرة وحرارة روحية، كيف يُحقِّق قول الرب: «كُنْ غَيُورًا وَتُبْ»؟

---

(١) عظة لم يسبق نشرها للأب متى المسكين، ألقاها على الرهبان يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٧٥.

صــلاة[٢]

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين.

ربنا المَحبوب يسوع، يا عريس نصف الليل، أيها الختن الحقيقي، يا مَنْ تأتي، ولكَ على الأرض سهارَى. اجعلنا يا ربِّي من الحكماء، ولا تَجعل نصيبنا مع الأغبياء، الذين تَجاهلوا صوتك، وتَجاهلوا دعوتك، وتَجاهلوا تَحذيراتك. يا عريس السماء، نَحن نعلم تَمامًا أننا معك على ميعاد. قد قَرُب الزمان يا ربِّي، والعُرس مُعَدٌّ، والوليمة قد بلغت آخر تدبيراتِها السماوية، وخطة الخلاص قد أُحكِمَت حلقاتُها على الأرض، يا ابن الله. والآن لَم يبقَ إلَّا المدعوُّون للمقابلة، فلا تَجعلنا يا ربِّي غَيْر واعين لِهذه الدعوة، ننساها سريعًا ويذهب كل إنسان إلى نفسه وإلى عمله.

أتوسَّل إليك من أجل نفسي المسكينة الشقية البائسة والفقيرة حقًّا والعريانة. أتوسَّل إليك من أجل كل نفس مثل نفسي أن نتوب ونستيقظ ونأتي إليك يا عريس الحب، يا غَنيًّا في العطايا؛ يا حاملًا على يديك مواهب بلا عدد، نأتي إليك ونحن كما نحن، حاملين خزينا وعارنا وفضيحتنا، عرايا يا ربِّي من كل ما هو سَمائي، لبسنا قشورًا أرضية واختبأنا وراء ثياب كاذبة من الكرامات والأسماء، ولكن الآن وفي حضرة روحك القدوس وأمام كشف عمل نعمتك في القلب، نرى، يا ربِّي، أنفسنا عرايا ولا شيء يسترنا أمامك. خِزينا واضح وفاضح، وروحك الآن يقشعر من منظرنا لكن نشكرك جدًّا، نشكرك، يا رب، لأنه لم يأتِ الزمان بعد، ولم يأتِ صراخ الصارخين. لا زلنا في زمان الاستعداد. لا زلنا في زمان الملء. أوانينا فارغة في أيدينا، وقد جئنا إليك لنبتاع يا ربِّي بدموعنا، بقرع صدورنا، بعمرنا الذي نسكبه على رجليك، يا ابن الله، ونَمسحه بأيامنا ولياليا.

أتوسَّل إليك اقبل عطية حياتنا وذبيحتنا التي قدَّمناها إليك في ضعفنا، لا تَحتقر خزينا، يا ابن الله، ولا ترفض فقرنا المُدقع من كل ما هو سماوي. أتوسَّل إليك أن تتغاضَى عن جهلنا لحظة حتى نكشف أنفسنا أمامك بملء حريتنا إلى لحظةٍ، وأن تسمح عيناك الطاهرتان، وتنظرا إلينا على حقيقة نفوسنا فتكشفها لنا إلى لحظة.

الآن، أمامك يا ربِّي نحن عرايا ولا شيء يسترنا. خطايانا تتقدَّمنا وتتبعنا، خطايانا نحن عرفناها جيدًا، أمَّا عطيتك السماوية يا ربِّي، فلم نُهيِّئ أنفسنا لها كما ينبغي، والدليل واضح والبرهان قوي: لا زلنا ننظر لأنفسنا كأننا شيء، لا زلنا نحسب أنفسنا أفضل من غَيْرنا، لا زلنا

(٢) ندعو القارئ أن يصلّي هذه الصلاة وكأنها صادرة منه شخصيًّا، فهذا كفيلٌ بإضرام نار الروح القدس في القلب.

يا ربِّي، ننظر لأنفسنا أننا أغنياء: «إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ، وَلَا حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ». داء هذا الزمان قد ركب قلوبنا وضمائرنا، والآن نخلعه خلعًا أمامك بكل خزي ومسكنة. أعطِنا فقرك يا ابن الله. أعطِنا عُرْيك. أعطِنا يديك السامِحتين المفرودتين على الصليب لتُصلَب من أجل الآخرين. أعطِنا جبينك المَجروح، وأعطِنا رأسك المُكلَّل بالشوك حتَّى لا نَخْزَى من خزينا، ولا نكره ضعفنا، ولا نرفض ملامتنا وظلمنا.

نتوسَّل إليك يا ربِّي ألَّا نغتَرَّ في أنفسنا أكثر، فيجرفنا العدو بتيار العالَم ونُعطَى ملابس العالَم التي لا تَمْنع خزيًا ولا تستر فضيحة. نتوسَّل إليك أن نعيش أمامك كل يوم على واقعنا. نتوسَّل إليك اكشف أمام عيوننا كلنا نحن الواقفين قدامك حقيقة خزينا، فلا نختبئ وراء ورق تين ولا ثياب جلد ولا لِحًى طويلة ولا لِباس أسود ولا عِمم مُزركشة. يا ابن الله، عرِّنا، عرِّنا من جديد. أرجعنا إلى معموديتنا الأولى يا ربِّي. ساعدنا لنخلع كل لِباس العالَم. نتوسَّل إليك أن نُوجَد أمامك وأمام إخوتنا والملائكة في السماء عرايا من كل مجدٍ أرضيّ، من كل مجد الإنسان الكاذب، من كل عطايا الإنسان التي يعطيها باليمين وتبتلعها الأرض باليسار. كل عِلْم كاذب، كل معرفة كاذبة، كل اعتماد على الذات، يا رب اخلعه منَّا كإنسانٍ عتيق بالٍ لا يصلح أن يقف أمامك في نورك إلى لحظة.

يا رب أتوسَّل إليك أن لا تأخذنا الساعة في غفلة ويُسمَع صوتك فلا نجد فرصة لا لشراء زيت ولا لتفريغ أوانٍ امتلأت من كل خيابات العالَم. أتوسَّل إليك أن نستيقظ في الميعاد، ليس ميعاد أفضل من هذا الميعاد. لا نَضْمَن ساعةً أُخرى غير هذه الساعة التي نحن فيها، ولا نَضْمَن مساءً نعيشه مثل هذا المساء، ولا يوم خلاص مثل هذا اليوم. فاسْمح يا ربِّي، واجعل لنا كل يوم وقفة صادقة أمامك نخلع فيها ثيابنا المُزيَّفة، كراماتنا الكاذبة، أسماءنا التي أعطاها لنا العالَم وسوف يأخذها التراب. فكل ما لنا يا ربِّي وما أخذناه، سواء بحقٍّ أو بغشٍّ، كله سنخلعه هنا، ونرتفع إليك عرايا. اكشف لنا يا ربِّي الآن حقيقة واقعنا، وافتح عيوننا لنرى مقدار خزينا، حتى لا نغتَرَّ في أنفسنا يومًا من الأيام، كما لا تصغر نفوسنا، لأننا نرى في يمينك شبع سرور، ذهبًا مُصفًّى بالنار ونرى ثيابًا بيضاء ناصعة كالنور، تَبَرُّرات دمك، غَسْلًا طاهرًا سَماويًا لكل ما هو بشري، فنصير سمائيين فيك وبك يا ابن الله.

اسْمَح وعَرِّنا الآن قبل أن تغسلنا. أَخْوَف ما أخافه يا رب، أن يظل على جسدنا ثوبٌ مُزيَّف من أثواب العالَم، فيمتنع علينا الغسيل وتمتنع علينا الصبغة. تصطبغ الثياب ولا تصطبغ النفس، نأخذ كرامات شكلية ولا نأخذ كرامتك السماوية. أتوسَّل إليك أن لا

يختبئ إنسان منك بعد، مثل آدم أبينا، بل في المسيح نتقدَّم إليك عرايا، كلنا جرأة في يسوع حبيبك، لكي ما نأخذ من دمه ونمسح مواضع جروحنا وعارنا وخزينا ونجاساتنا، فنبيَض كلنا أكثر من الثلج.

أعطنا في هذا المساء يقظة، وارفع عنَّا داء هذا الجيل ومصيبة كنيسة آخر الزمان: «إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ». حاشا، يا رب؛ نحن فقراء لكَ، وسنظل فقراء إلى الأبد. لا تغننا بالعالم، أَغنِنا بفقرك يا ابن الله، وألبِسْنا عُرْيك الحقيقي، لنذوق مجدك الحقيقي.

اسمع واستجب من أجل مسكنتي وذُلِّي أمامك، لأنه ليست لي قوة بعد أستطيع أن أعلِّم بها أكثر ممَّا علَّمتُ، ولكن في ذلِّي ومسكنتي أطرح نفسي أمامك. أنا آخرهم بل أولهم حاجةً إليك، وآخرهم شعورًا بذاتي يا رب. أعطِنا كلنا من عطاياك الصالحة التي تستطيع أن تغيِّر ما بداخلنا وتطهِّر كما بنار، تَحرق كل ما هو قش كاذب وتعطي ثيابًا سَماوية بيد ملائكة وأرواح قديسين أبرار مُمجَّدين، نلبس ونتلذَّذ ونتمجَّد معهم في كل فقر وكل ظلم وكل صليب.

آمين يا رب، هذه هي الكنيسة الفقيرة أمامك، وهذا هو القطيع الصغير المرفوض، اقبله عندك لأننا ليس لنا في العالم قبول. لم يصرْ لنا قبول إلَّا فيك يا ابن الله، فلا ترفض ضعفنا، ولا تحتقر ذُلَّنا أمامك، من أجل مراحمك الكثيرة، ومن أجل الدم المسفوك على الصليب، ومن أجل وعودك الصادقة الأمينة أنك بدمك واقفٌ ككاهن ورئيس كهنة أعظم، تغسل وتنضح يا ربِّي، على خطايانا فنطهر، على كل عجزنا فنكتمل، على كل ضعفنا فنتقوَّى بك، يا ابن الله.

أمَّا نحن، فأمانةً بك، وإيمانًا بك، وعهدًا أمامك، يا رب، نعيش إخوةً صغارًا كل أيام حياتنا. فبارك ضعفنا، وبارك صِغَرنا أمامك، وقدِّس حياتنا فيك، ومجمعنا الصغير احفظه من يد العدو يا ربِّي، احفظه، فلا يأكل منه ذئب، بل تفرح يا رب بتعبك فينا وتشبع يا ربِّي من دموعنا وصلواتنا وقرع صدورنا، ولا نفقد أحدًا، بل نأخذ ونعطيك يا ابن الله جُددًا وعُتقاء، مملوئين من كل مجدٍ ونعمة فيك.

اسْمَعنا واستجب من سَماك، بشفاعات قديسيك الذين أُهِّلوا للوقوف أمامك، يتشفَّعون في ذُلِّنا وضعفنا ومسكنتنا، أبينا شفيعنا أنبا مقار، وكل قدِّيسي هذه البرِّية، وأُمِّنا العذراء الطاهرة مريم، حينما ندعوك كلنا بالشكر قائلين: أبانا الذي في السموات ...آمين.

❖✚❖